الخداع الإسرائيلي في مفاوضات «كامب ديفيد»

اسم الكتاب: الخداع الإسرائيلي.
رؤية فلسطينية لمفاوضات «كامب ديفيد» وتوابعها.
المؤلف: بلال الحسن
عدد الصفحات: ١٣٠
الطبعة الأولى: ٢٠٠٣
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

عرض وتعليق: هاني المصري

كتاب الأستاذ بلال الحسن «الخداع الإسرائيلي» رؤية فلسطينية لمفاوضات «كامب ديفيد» وتوابعها، كتاب مهم للغاية، كونه يحاول سد النقص الكامن في غياب رواية فلسطينية رسمية لما جرى. ففي حين أصدر الإسرائيليون المشاركون بالمفاوضات وحدهم ثلاثة كتب حول المفاوضات، وهي: كتاب شلومو بن عامي (أي مستقبل لإسرائيل؟)، وكتاب يوسي بيلين (دليل السلام الجريح)، وكتاب جلعاد شير (سلام «في متناول اليد») ونشر الإسرائيليون عدداً لا يحصى من الدراسات والمقابلات والمقالات، أغرق المفاوضون الفلسطينيون، باستثناء المقالات التي أصدرها أكرم هنية بعنوان «أوراق كامب ديفيد»، وسائل الإعلام بمقابلات لا تنتهي، ولا تخلو من العموميات والتناقضات والتكرار، وتقع في أحيان كثيرة في ترويج الروايات الإسرائيلية، ولا تقدم رواية فلسطينية متكاملة.

أهمية هذا الكتاب، تكمن في قيامه بتقديم رواية مدعمة بالبراهين والأدلة الكفيلة بكشف حقيقة الأساطير التي روجتها إسرائيل، ورددتها وسائل الإعلام الأميركية، ووقع ضحيتها ليس فقط الإسرائيليون، والرأي العام الدولي، بل والكثير من الفلسطينيين والعرب. الكتاب يضم ١٣٠ صفحة من الحجم الصغير، وهو مكون من عدة أقسام تبدأ بتقديم مدخل للكتاب، ثم تتدرج حاملة العناوين التالية: ما قبل مفاوضات «كامب ديفيد»، انعقاد القمة: أسلوب كلينتون في إدارة المفاوضات، أعمال اللجان، ما بعد «كامب ديفيد»: الانتفاضة، من الانتفاضة إلى ورقة كلينتون، ورقة كلينتون، رسالة التحفظات الفلسطينية، مفاوضات طابا، محاولات للتقييم.

في مدخل الكتاب يعرض الحسن الأساطير الإعلامية الإسرائيلية الثلاث التي لا تزال تروج حتى الآن، وهي:

الأسطورة الأولى: إن «الفلسطينيين» هم الذين أفشلوا مفاوضات «كامب ديفيد» برفضهم للعرض السخي الذي قدمه لهم أيهود باراك، عرض الانسحاب من ٩٥٪ من الأرض حسب الترويج السائد.

الأسطورة الثانية: إن «الفلسطينيين» رفضوا ورقة كلينتون التي عرضها بعد مفاوضات «كامب ديفيد»، وأن الإسرائيليين قبلوها.

الأسطورة الثالثة: إن المفاوضات التي جرت في طابا، بعد تخلي الرئيس الأميركي عن منصبه، حققت اختراقاً لا سابق له، ولكن سقوط باراك في الانتخابات أمام أرئيل شارون زعيم الليكود، ضيع فرصة ذلك النجاح.

وحاول الكتاب تأكيد الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: إن إسرائيل هي المسؤولة عن فشل مفاوضات «كامب ديفيد»، لأنها رفضت التعاطي جدياً مع المطالب الفلسطينية الأساسية، وتعاملت مع المفاوض الفلسطيني بطريقة: إما القبول أو الرفض.

الحقيقة الثانية: إن الموقف الفلسطيني من ورقة كلينتون كان شبيهاً إلى حد كبير بالموقف الإسرائيلي، القبول مع التحفظ، وإذا كان لا بدّ من القول إن ورقة كلينتون قد رفضت، فإن ذلك يصح على الإسرائيليين مثل الفلسطينيين، ولا يمكن حصره بالفلسطينيين وحدهم.

الحقيقة الثالثة: إن مفاوضات طابا لم تتضمن أي اختراق، ولم تتطور نحو تغير أساسي في الموقف الإسرائيلي، أو نحو تراجع أساسي في المطالب الفلسطينية، وهي لا تستحق ما أثير حولها من ضجة، إلا من زاوية الصراحة التي تميزت بها المفاوضات، صراحة الطرفين في التخاطب، وفي الاستعداد لبحث كل مشكلة، من دون أن يعني ذلك الوصول إلى حلول أو اتفاقات فعلية.

لقد تمكن بلال الحسن في كتابه هذا، من تأكيد هذه الحقائق بنجاح يحسد عليه. فهو استخدم الوثائق المتوفرة، والتصريحات الرسمية الصادرة عن الأطراف كافة، وما جاء في الكتب والمقابلات والمقالات، ليقدم صورة حقيقية أو أقرب إلى الحقيقة من كل الروايات السائدة عما جرى في «كامب ديفيد» وطابا وقبلهما وبعدهما، ما يجعل كتاب «الخداع الإسرائيلي» إضافة مهمة للمكتبة الفلسطينية والعربية.

من الصعب استعراض كافة الأدلة والبراهين التي ساقها الحسن لتبيان زيف الأساطير الإسرائيلية في هذا العرض الموجز، ولكن من المفيد استعراض بعض الأمثلة:

أكثر ما روجت له وسائل الإعلام الإسرائيلية والأميركية، ورددته وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية، وبعض المسؤولين الفلسطينيين والعرب، وبعض الكتاب والمعلقين الفلسطينيين والعرب أن الإسرائيليين قدموا في «كامب ديفيد» عرضاً سخياً يقوم على أساس الانسحاب من ٩٥٪ من الأرض وضم ٥٪ فقط إلى إسرائيل، وأن الفلسطينيين رفضوا هذا العرض السخي، الأمر الذي يبرز رفضهم لفكرة السلام. ولكن حين ندقق في المواقف الإسرائيلية، وحين ندقق في الشروحات الفلسطينية، نجد أن إسرائيل كانت تعرض الاستيلاء على ٢٥٪ من أراضي الضفة الغربية تحت تسميات «الضم» أو «السيطرة» أو «الاستئجار»، وحين نضيف إلى ذلك مساحة مدينة القدس التي لا تعتبرها إسرائيل جزءاً من الضفة الغربية، والمنطقة الحرام الموروثة منذ اتفاق الهدنة في العام ١٩٤٨ والتي ترفض إسرائيل البحث بها، وتعتبرها جزءاً من أراضيها، والمساحات التي تريد الاستيلاء عليها من البحر الميت ومن نهر الأردن، وكذلك حين نضيف القواعد العسكرية التي تريد الاحتفاظ بها، والطرق المؤدية إليها، نصل عملياً إلى نسبة تصل إلى حدود ٤٠٪ من الأراضي الفلسطينية المحتلة العام ٦٧ التي يبقيها العرض الإسرائيلي السخي في قبضة إسرائيل. ويبرهن الحسن على ما تقدم من خلال إيراد التناقضات في تحديد النسب المقترحة للضم، والواردة على لسان المسؤولين الإسرائيليين. إن أقصى ما تم طرحه من الناحية العملية لا يتجاوز ٦٠٪ من أراضي الضفة والقطاع والقدس.

المثال الآخر ويتعلق بمدينة القدس والمسجد الأقصى. فكما جاء في الكتاب «لقد قدم الإسرائيليون تحت ستار القبول بالقدس عاصمة للدولة الفلسطينية، اقتراحات تشبه الألاعيب البهلوانية بشأن المدينة وتقسيماتها وأنماط السيادة فيها. كانوا يتحدثون عن مدينة موحدة يجري تقسيم الجزء الشرقي منها (المحتل العام ١٩٦٧) إلى ثلاث مدن، مرة تحت تسمية (أ) و(ب) و(ج)، ومرة ثانية تحت اسم سيادة وحكم ذاتي، ومرة ثالثة تحت اسم سيادة عليا وسلطة فعلية، ومرة رابعة تحت اسم سيادة فوق الأرض وسيادة تحت الأرض، ومرة خامسة تحت اسم سيادة إسرائيلية وسيادة دولية، ولكن كل هذه التسميات لم تكن سوى حيل قانونية أو تغطية لإبقاء السيادة الإسرائيلية على المدينة، وإقناع الفلسطينيين بقبول سيادة شكلية لهم على بعض أجزائها، وسيادة فعلية على بعض ضواحي المدينة وقراها مع استعداد لإطلاق اسم القدس عليها.

مثال ثالث وأخير هو: اللاجئون وحق العودة. حاول الإسرائيليون في «كامب ديفيد» تغييب مسألة اللاجئين كلياً، وكأنها لم تطرح، ولم يحدث خلاف جوهري حولها، ولم تكن أحد الأسباب التي أدت إلى فشل قمة «كامب ديفيد». فأحد الأكاذيب الإسرائيلية الكبرى التي لاقت رواجاً كبيراً

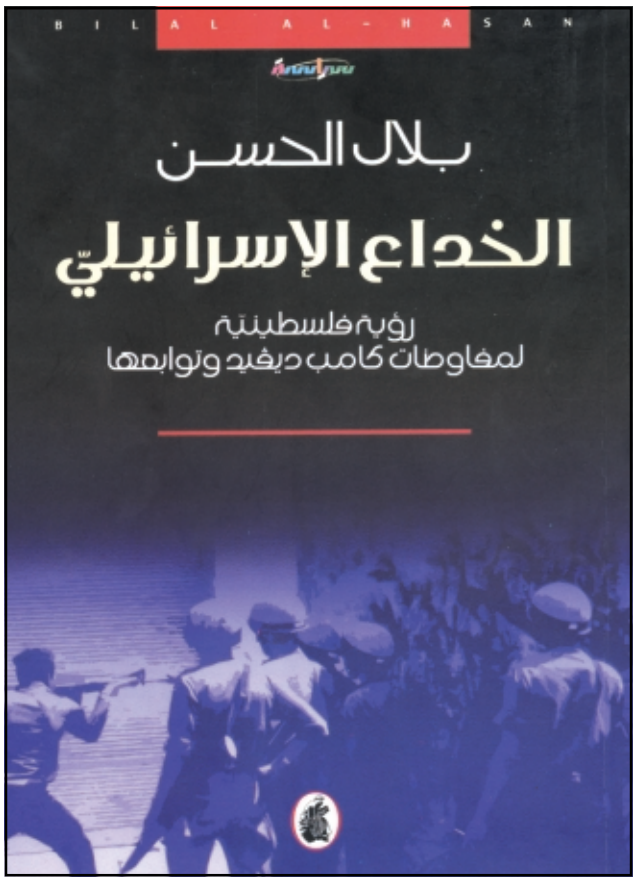

هي ادعاء بأن كافة القضايا تم التوصل فيها إلى اتفاق أو تم الاقتراب من الاتفاق، باستثناء مسألة القدس، وهذا غير صحيح على الإطلاق، فكافة القضايا كانت محل خلاف عميق بما فيها وأولها قضية اللاجئين. فحول هذه القضية التي تعتبر أساس وجوهر القضية الفلسطينية، كان هناك الطرح الكلاسيكي الإسرائيلي: لسنا مسؤولين عن هذه المشكلة، لا نعترف بحق العودة، مستعدون لإعادة بضعة آلاف على مدى سنوات ضمن برنامج «لم شمل العائلات» و«لأسباب إنسانية»، مستعدون للحديث عن صندوق تعويضات دولي يجب أن تكون فيه حصة لتعويض اليهود الذين (طردوا) من البلاد العربية. وفي مباحثات طابا، لم يحدث اتفاق حول مسألة اللاجئين. ولكن حدث تقارب ما، وهذا ما لا يأخذ حقه في كتاب الخداع الإسرائيلي، ولكنه لم ينه الخلاف حول المسائل الجوهرية. فالورقة الإسرائيلية في طابا اعترفت بأن حل قضية اللاجئين يجب أن يفضي إلى القرار ١٩٤، ولكن ترجمة تنفيذ القرار هي بعودة (استيعاب) جزئية (لم تحدد الورقة أرقامها) إلى إسرائيل، وعودة شاملة إلى الدولة الفلسطينية، والتوطين في البلدان المضيفة، والتوطين في بلدان أخرى. وتعتبر الورقة الإسرائيلية أن ما يتم الاتفاق عليه يشكل تطبيقاً كاملاً ونهائياً للبند ١١ من القرار ١٩٤... وتسوية كاملة لا رجوع عنها لقضية اللاجئين الفلسطينيين في جميع أبعادها؛ ويمتنع بعدها الطرفان عن التقدم بأي مطالب وشروط. وبعد تطبيق هذه البنود لن يبقى هناك أي شخص تطلق عليه صفة لاجئ.

والمفيد ذكره، أن محضر موراتينوس مبعوث السلام الأوروبي، والذي يعتبر أقرب وثيقة إلى الحقيقة، حول المفاوضات الفلسطينية ? الإسرائيلية، جاء فيه أن عدد اللاجئين الذين اقترحت إسرائيل «استيعابهم» لديها هو «٢٥» ألف لاجئ (من لبنان، ومن مخيمي صبرا وشاتيلا بالذات) خلال ثلاث سنوات. وهناك عدد تم اقتراحه شفهياً وهو ٤٠ ألف لاجئ يعودون خلال خمس سنوات. كما أضافت ورقة موراتينوس أن الوفد الإسرائيلي رفض إعادة أملاك اللاجئين.

وأخيراً، لا يمكن إعطاء كتاب بلال الحسن «الخداع الإسرائيلي» حقه في هذه العجالة، التي لا تغني عن ضرورة قراءته التي تفيد القارئ أيما إفادة.

وأسمح لنفسي أن أقدم ملاحظة جوهرية أو اثنتين على الكتاب.

الملاحظة الأولى: قلل الكتاب من أهمية التغييرات التي حدثت على السياسة الرسمية الإسرائيلية، كما ظهر في قمة «كامب ديفيد» وما بعدها، وفي مباحثات طابا، وفي الموقف من مشروع كلينتون، فعلى الرغم من أن هذه التغييرات لم تقدم أساساً صالحاً للحل والاتفاق، وتعكس السياسة التوسعية الاستيطانية العنصرية الاستيلائية ومحاولة لوي عنق الحقائق، فإنها تنطوي على مغزى تاريخي لا يمكن إنكاره. فالتفاوض حول القدس والحدود واللاجئين والاستيطان يذبح البقرات الإسرائيلية المقدسة، التي كانت تعتبر إلى لحظة انعقاد قمة «كامب ديفيد» أن هذه القضايا، خطوط حمراء، لا يجوز الاقتراب منها. صحيح أنها لا تنطوي على أهمية عملية، ولكنها تدل على أن النضال التاريخي والصمود الفلسطيني والتمسك بالحرية والاستقلال، والبرنامج الوطني والواقعي، والتحرك الفاعل يمكن أن يحقق الأهداف الوطنية.

الملاحظة الثانية: على الرغم من أنني متفق، وبالإجمال، مع ما أورده الكتاب حول الموقف الفلسطيني وتمسكه بالحقوق الوطنية الأساسية، في نهاية الأمر، فإن هذا الموقف لم يكن منسجماً ولا موحداً دائماً، لا قبل قمة «كامب ديفيد» ولا بعدها. وهذا ما لم يوله الكتاب أي اهتمام يذكر.

قد يكون كافياً للبرهنة على نقاط الضعف في الموقف الفلسطيني، أننا لم نحصل حتى الآن وعلى الرغم من مرور أكثر من ثلاث سنوات على قمة «كامب ديفيد» على رواية فلسطينية رسمية متكاملة بما جرى، لكن المسألة لا تعود إلى الإهمال فقط، وإنما إلى أن الرواية الكاملة ستكشف بعض الحقائق غير المريحة، مثل أن المرونة التي أظهرها العديد من المسؤولين الفلسطينيين، قبل «كامب ديفيد» وخلالها وبعدها، شجعت الإسرائيليين والأميركيين وضللتهم وأوحت لهم، أن ياسر عرفات قد بات جاهزاً، أو أنه سيصبح جاهزاً بعد الترهيب والترغيب الذي يمكن استخدامه ضده ومعه في قمة «كامب ديفيد»... القمة المغلقة والمعزولة. ألم نسمع أصواتاً فلسطينية مسؤولة لا يزال صداها يتردد حتى الآن، بأننا ضيعنا فرصة تاريخية في «كامب ديفيد» وطابا، وأننا بالفعل قد عرض علينا عرضاً سخياً بالانسحاب من ٩٥٪ من الأرض المحتلة، وجعلناه يفلت من بين أيدينا! بينما الآن المعروض أو الذي يمكن أن يعرض في أحسن الأحوال ٤٢٪، حسبما هو متضمن في مشروع شارون للحل الانتقالي متعدد المراحل، طويل الأمد!! إن مثل هذه المواقف بحاجة إلى عرض ونقاش حتى تكتمل الرواية عما حدث في «كامب ديفيد» وتوابعها!!!

رئيس التحرير:
د. جورج جقمان

هيئة التحرير:
مي الجيوسي
أريج حجازي

المحرر المسؤول:
مهند عبد الحميد

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله، ص.ب: ١٨٤٥
تلفون: ٢٩٥١١٠٨-٢ (٩٧٢) - فاكس: ٢٩٦٠٢٨٥-٢ (٩٧٢)
بريد إلكتروني: muwatin@muwatin.org

تصدر هذه النشرة ضمن اتفاقية تعاون مع مؤسسة هينرخ بُل- ألمانيا
الآراء الواردة في النشرة لا تعبّر بالضرورة عن رأي مؤسسة مواطن أو مؤسسة هينرخ بُل